

الحرب النووية التي لم تتم

محمد يوسف عدس

هل تعلم أن القاهرة في عام ١٩٦٧م كانت مستهدفة للتدمير بقتابل نووية على غرار ما حدث لمدينتي هيروشيما ونجازاكي باليابان في أغسطس ١٩٤٥م .. وأن أمريكا كانت على أهبة الاستعداد لضرب روسيا إذا تدخلت في الحرب ؛ فقد كانت الأسلحة النووية الأمريكية في قواعدها العسكرية حول العالم على استعداد للهجوم ، ومصوبة نحو الأهداف الحيوية في الاتحاد السوفييتي .. وتعلم أن الذي يسبق بالضربة الأولى في هذه الحرب بالذات هو المنتصر ، وأن خصمه هو المنهزم لامحالة..

كانت إذن حرباً نووية مخطّطاً لها أن تتخلص أمريكا من أكبر أعدائها في العالم في ذلك الوقت: الخطر الروسي المدجج بترسانته النووية ، ومن العدو الجديد المتبجح والمقلق في العالم الثالث " جمال عبد الناصر" ، الذي شاعت شهرته بين الشعوب العربية: أنه الزعيم القادر على تحريك الجماهير نحو التحرر والانعتاق من التبعية الأجنبية ، وأن تأثيره في الشعوب العربية كان أقوى وأكثر فاعلية من تأثير حُكّامها المحليين ؛ حيث كانت الجماهير تخرج بالملايين لتتلف باسم عبد الناصر.

امتدّت شهرة عبد الناصر لتشمل بلاد العالم الثالث "الأفروآسيوية" ، باعتباره الزعيم الأكثر جرأة في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية ، الذي كان يجاهر بالعداء لها ولا يهاب، ويتحدّاهم بلا وجل.. ويكشف عن سوءاتها الاستعمارية الإمبريالية ضد إرادة الشعوب. وقد اشتهر عنه انه صاحب التصريح الساخر من أمريكا عندما سُئل: ألا تخشى من انتقام أمريكا..؟ فقال: "لنشرب أمريكا من البحر المتوسط فإن لم يكفها فلتشرب من البحر الأحمر" واعتُبرَ هذا حينذاك قمة السخرية والاستهانة بتلك القوة الأعظم في العالم.

ارتبط اسم عبد الناصر -في ذلك الوقت- بأكبر زعماء عصره من قادة الحياض الإيجابية وعدم الانحياز مثل نهرو وجوزيف بروز تيتو .. و كان قادراً على تحريك قواته الجوية بحرية لمنصرة أصدقائه في أفريقيا .. كما حدث في نيجيريا .. هذه حقائق لا ينبغي أن نتجاهلها في عمرة حماسنا لإظهار الوجه الآخر القبيح لحكم جمال عبد الناصر و سياسته الداخلية الاستبدادية ، وانفراده بالسلطة وعدائه للديمقراطية وتكميم الأفواه الناقدة له ، وتورط نظامه الدكتاتوري في عمليات القمع والتعذيب وأحكام السجن والإعدام في محاكمات مشهورة لخصومه من الإسلاميين الرافضين لحكمه .. وأن انشغاله باستعراض قدراته ونفوذه ومجده الشخصي ، قد أدى إلى هزائم مروعة ومهينة للجيش المصري في كل الحروب التي خاضها مع إسرائيل ..

صحيح أن عبد الناصر في بداية حكمه قبل بنوع من التبعية لأمريكا -في زمن مشروع النقطة الرابعة ؛ إذ اعتمد عليها في برامج التنمية ، خصوصاً وأنها دأبت على تغويض مصر عن النقص الغذائي بالسماح لها بشراء القمح الأمريكي بالجنيه المصري ، والدفع

على أقساط طويلة الأجل- ولكنه انتقل فجأة إلى حضان الاتحاد السوفيتي عندما رفضت أمريكا تمويل مشروع السد العالي إلا بشروط مُدلة ، وأتبعه بتأميم قناة السويس سنة ١٩٥٦ بحجة تمويل مشروع السد العالي ..

وقبل ذلك كانت صفقة الأسلحة المصرية التشيكوسلوفاكية باتفاق مع الاتحاد السوفيتي في سبتمبر ١٩٥٥ ، لإمداد مصر بما قيمته ٢٥٠ مليون دولار من الأسلحة السوفيتية الحديثة [من خلال تشيكوسلوفاكيا]. وكانت الصفقة نقطة تحول رئيسة في الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية .. كما أثرت بشكل كبير على الصراع العربي الإسرائيلي ؛ إذ دفعت إسرائيل للعدوان على مصر سنة ١٩٥٦ ، بمشاركة من بريطانيا وفرنسا انتقاماً من عبد الناصر لتأميمه قناة السويس.. ولكن فشل العدوان الثلاثي -رغم انسحاب الجيش المصري من سيناء- وكان لفشل العدوان ثلاثة أسباب:

- (١) صمود المقاومة الشعبية المصرية في مدن قناة السويس ،
- (٢) وتهديد الاتحاد السوفيتي ،
- (٣) واستنكار الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس أيزنهاور لأن الدول الثلاثة [بريطانيا وفرنسا وإسرائيل] خططت لهذه الحرب ونفذتها دون التشاور مع أمريكا قائدة العالم الغربي..

الآن نأتى إلى حكاية السفينة الأمريكية "ليبرتي" التي تعرضت لهجوم إسرائيلي وهي رابضة في البحر الأبيض المتوسط [على بعد ١٣ ميلاً من العريش] خلال الحرب الإسرائيلية على مصر سنة ١٩٦٧ م ، والتي سُميت بحرب الأيام الستة .. لم يعرف الناس وقتها الغرض من وجود هذه السفينة على مسرح الأحداث؟! ولماذا هاجمتها إسرائيل في محاولة لتدميرها؟! إنما عرفوا فقط أن الإعلام العالمي أطلق على الواقعة اسم "حادثة يو إس إس ليبرتي" USS Liberty incident ، وأنها سفينة مخصصة للبحوث التقنية [أو بمعنى آخر للتجسس على الرسائل والإشارات الميدانية وفك الرموز السرية] .. نفذت إسرائيل هجومها على السفينة في ٨ يونيو ١٩٦٧ ، بواسطة طائراتها المقاتلة ، وزوارق طوربيد تابعة لقواتها البحرية ، وهي تعلم أن السفينة غير مسلحة وغير مجهزة للدفاع عن نفسها، وكانت القوة الإسرائيلية كفيلة بتدميرها وإغراقها ؛ لهدف محوري سنتبينه بالتفصيل في موضعه ، ولكن تشاء الأقدار أن يسفر الهجوم الإسرائيلي -فقط عن مقتل ٣٤ وإصابة ١٧٢ من أفراد الطاقم ، وإلحاق أضرار كبيرة بالسفينة .. ولكنها لم تغرق..

وعاش باقى الطاقم ليحكى قصة السفينة ليبرتي ويفند الذرائع الكاذبة لإسرائيل التي ادعت في أول الأمر أنها لم تتبين الهوية الأمريكية للسفينة .. وإنما حسبته سفينة معادية.. وأنها أطلقت النيران عليها لترد على نيران انطلقت من السفينة ضد قواتها الاستكشافية ؛ التي حوّمت فوقها لتتبين هويتها..

وكل هذه أكاذيب لم يصدقها أحد ؛ ومن ثم وُضعت العملية بأسرها موضع شكوك وتسؤلات وثارَت حولها التكهّنات: لماذا ضربت إسرائيل سفينة أمريكية وحاولت إغراقها..؟! ولماذا

امتنع الرئيس "لنْدُونْ جنْسُون" Lyndon Johnson عن توجيه أوامره لطائراته العسكرية القريبة من الدفاع عنها ، عندما بدأ الهجوم الإسرائيلي عليها .. والأغرب من هذا كله أنه -في الوقت نفسه- أمر قواته في البحر المتوسط بتوجيه ثلاث طائرات محملة برووس نووية لضرب القاهرة ..؟! فهل يمكن أن يحدث هذا كله بالصدفة البحتة..؟!.. لقد أقلعت الطائرات الثلاثة بالفعل لتنفيذ المهمة .. ولكن تدخل جونسون فجأة وأمر بإيقاف العملية قبل موعد إسقاط القنابل بدقيقتين إثنين .. فرجعت الطائرات إلى قواعدها من حيث أتت.. ففيم كان الأمر بضرب القاهرة؟ .. وفيم كان العُدول عنه في آخر لحظة لوقف الهجوم النووي..؟!!

هناك إذن معلومات مخفية لم نسمع عنها حينذاك.. ولكنها بدأت تتكشف على لسان من بقي حياً إلى اليوم من المسؤولين في القوات المسلحة وفي أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية .. وبجهود كُتّاب يملكون من الجرأة والرغبة في استكشاف الحقائق رغم التعقيم المفروض عليها .

وسيتبين لك عندما تتكشف لك الحقائق أننا كنا أمام نموذج صارخ لعملية من أخطر عمليات الـ"الفولس فلاج" False Flag Operation ؛ وقد تحدثنا عن هذه العمليات وأهدافها بصفة عامة في مقالات سابقة ؛ وضرربنا لذلك أمثلة من الحوادث التي وقعت في فرنسا وأمريكا وبريطانيا وأسبانيا [باسم هجمات إرهابية إسلامية]- ولكنها -في الحقيقة- من تدبير أجهزة مخابرات غربية وإسرائيلية قامت بصياغتها وتصميمها بحيث تبدو وكأنها عمليات إرهابية ارتكبتها مسلمون ضد شعوب مسيحية ؛ لتبرير العداء الغربي للإسلام والمسلمين .. واتخاذها ذرائع لأعمال انتقامية مروعة ضدهم.. وكانت عملية الهجوم الصهيوني على السفينة ليبرتي واحدة من هذه العمليات [الفولس فلاجية] ، وسيتبين لك أبعاد هذه العملية وتفصيلها .. ولكن ليس قبل أن نضيق الطريق نحو جذور المسائل ونفهم التطورات التي أدت إلى عملية السفينة ليبرتي وما أحاط بها من مؤامرات خفية..

تبدأ القصة في عهد "بن جوريون" منشئ إسرائيل وأول رئيس لها ؛ فقد حاول أن يزود إسرائيل بسلاح غير تقليدي ، رادع لكل القوى العربية المحيطة به حتى لو اجتمعت كلها على غزو إسرائيل ؛ فقد كانت عقيدته: أن الدول العربية يمكن في أي صدام عسكري أن تتحمل أكثر من هزيمة ثم تنهض مرة أخرى لتستعيد قواها ، ولكن إسرائيل مصيرها معلق بهزيمة واحدة لتنتهي بعدها من الوجود ؛ فليس لديها فرصة أخرى لإعادة البناء..؟! .. لهذا كان سعيه الحثيث وإصراره على أن تمتلك إسرائيل القوة النووية .. ولكن الولايات المتحدة في ذلك الوقت كان رئيسها "جون فيتزجيرالد كينيدي" ، الذي رفض رفضاً قاطعاً أن تمتلك أي دولة في الشرق الأوسط قنبلة نووية بما في ذلك إسرائيل ..

ولم يكن هذا بدافع من عدائه لها ؛ فقد كان جون كينيدي مؤيداً لإسرائيل ، ومدافعاً عن وجودها وسلامتها وأمنها ، ولم يبخل بإعلان هذا صراحة في أكثر من مناسبة .. ولكنه كان يعتقد أن أفراد أمريكا بالقدرة النووية سيحافظ على سيطرتها المطلقة وأستقلال

إرادتها كاملةً فيما يتعلق بالقرارات المصيرية في الشرق الأوسط وفي العالم ، وكان يخشى أن تورط إسرائيل نفسها في مواجهات مع أعدائها ، وتجرب أمريكا للتورط في حروب ضد إرادة الشعب الأمريكي والإدارة الأمريكية ..

وعندما ألحّ بن جوريون على مطلبه ولم يستجب له كنيدي ، لم يشأ أن يخرج من مساوماته خالي الوفاض ؛ فطالب بتزويد إسرائيل بأحدث المستجذات الأمريكية من أسلحتها التقليدية، فلم يمانع كنيدي .. ومع ذلك وضعت إسرائيل اسم جون كنيدي على صفحتها السوداء وتآمرت على قتله والتخلص منه ، خصوصاً بعد أن تأكد بن جوريون أن كنيدي لن يقبل بأقل من السيطرة الأمريكية الكاملة على قرارات الحرب والسلام في الشرق الأوسط .. وكان هذا واضحاً في موقفين: الأول- أنه في عهده امتنعت أمريكا من استخدام حق الفيتو لأول مرة في تاريخها لإبطال قرار مجلس الأمن بإدانة إسرائيل.

والثاني- عندما سعى شيمون بيريز سرّاً للحصول على التكنولوجيا النووية من أصدقائه في الحكومة الفرنسية ، فلما ووجه بن جوريون بمعرفة أمريكا ، تعلل بأنها لأغراض سلمية بحتة.. الأمر الذي لم تستسغه ولم تصدقه إدارة الرئيس كنيدي ، وطلبت من إسرائيل إخضاع عملياتها في هذا المجال لتفتيش ورقابة المنظمة الدولية للطاقة النووية ، وهذا مارفضته إسرائيل بشدة ، وتظاهرت بقبول تفتيش الولايات المتحدة فقط لمركز الطاقة النووية عندها في "ديمونه" ..

وقد عرفنا مؤخراً تفاصيل الخدعة الإسرائيلية ؛ حيث أخفت مركز التحكم في إجراءاتها النووية وراء مبنى جديد يُظهر إجراءات تحكّم تعطي بيانات مزيفة عن عمليات طاقة نووية للأغراض السلمية فقط ..

والمهم أن بن جوريون في النهاية نجح في التخلص من جون كنيدي باغتياله في أغسطس ١٩٦٣م عن طريق رجال مخابراته وعملاء إسرائيل الصهاينة في المخابرات الأمريكية .. وبمساندة وخيانة نائب الرئيس الأمريكي "جونسون" الذي ورث السلطة بعد مقتل كنيدي .. والذي سخر إمكانات الولايات المتحدة لخدمة المخططات الصهيونية في منطقة الشرق الأوسط .. ومنها دوره الإجرامي في حرب ١٩٦٧م .

فلم يكن هدفه تدمير القوة العسكرية لمصر فقط ؛ فقد قامت إسرائيل بهذه المهمة بكفاءة عالية في ست ساعات لا ستة أيام .. وإنما كان الغرض هو تدمير مصر وتدمير مستقبلها لعشرات من السنين القادمة بحيث لا يخرج منها قيادات ذات تأثير في جماهير الأمة العربية والإسلامية ، تجد فيها شعوب العالم الثالث أملاً ووسيلة للتلاحم والنهوض من كبوة التخلف وبناء قوى موحدة ومتآزرة ضد المخططات الأمريكية الصهيونية في العالم ، ووضع العراقيل في طريق حريتها وحركتها في تشكيل العالم ونهب ثرواته وإخضاع شعوبه كما تشاء وتهوى..

وقد بدأت تظهر بالفعل -في عهد عبد الناصر- صنوف من العراقيين في وجه الزحف الأمريكي: من قبيل: الوحدة العربية ، وحركة الحياض الإيجابي وعدم الانحياز، التي كانت تحظى بدعم من الكتلة السوفييتية .. بينما تجني ثمارها : بانتشار أيديولوجيتها الاشتراكية ، وقواعد عسكرية على سواحل البحر المتوسط ، مما لم تكن تحلم به روسيا لولا ظهور حليفها عبد الناصر في المنطقة.

كانت أطماع ليندون جونسون أوسع من مجرد استئصال مصر من معادلة القوة في الحرب الباردة ؛ إذ كان يتوقع أن تتدخل روسيا لحماية مصالحها المهددة في المنطقة لو نجحت أمريكا في خططها الاستئنصالية .. ولذلك كان جونسون قد استعد لهذا الاحتمال ووضع قواته النووية في حالة استعداد للانطلاق إلى أهداف عسكرية في الاتحاد السوفييتي. وهنا يأتي دور الهجوم الإسرائيلي على السفينة ليبرتي.

إذ كان الاتفاق قائماً بين جونسون وبين جوريون على أن يتم تدمير السفينة وإغراقها بضربة واحدة وانهاء حياة كل من كان على متنها حتى لا يبقى شاهد واحد يحكي قصتها. وبذلك يسهل اتهام مصر بأنها هي التي أغرقت السفينة ، وتجد أمريكا حجتها سهلة في ردع مصر بسلاحها النووي .. ثم لتستدير بعد ذلك إلى العدو السوفييتي للقضاء عليه .. وكان هذا يتوافق تماماً مع أحلام إسرائيل التلمودية ، في الوصول إلى السيطرة على العالم بعد أن تقضى القوتان العظيمين كل منهما على الأخرى.. حتى ولو تدفقت الدماء أنهاراً من ملايين البشر على الجانبين .. فكل هذا مقبول في الوعود التلمودية لبني إسرائيل.

ولكن يشاء الله أن تفشل إسرائيل في إغراق السفينة ليبرتي ويضطرّ جونسون للتراجع - في آخر لحظة- عن تنفيذ خطته الجهنمية في ضرب القاهرة بالقنابل النووية ؛ وذلك لأن الخبر الحقيقي تفشى بين قادة القوات المسلحة الأمريكية ؛ من الطاقم الأمريكي على ظهر ليبرتي الذين شاهدوا الطائرات والزوارق الإسرائيلية المهاجمة .. وسجلوا صورها . وبقيت الخسائر وأرواح الضحايا في رقبة إسرائيل لتعتذر عنها .. ويتم تليفق القضية في أمريكا .. وتكتم أفواه من أرادوا الإفصاح عما شاهدوه بأعينهم .. ولكن مع مرور الزمن- بقي من شهود العيان عدد من رجال الحرب والمخابرات والكتّاب والصحفيين- أدلوا بشهاداتهم مسجلة في ذلك الفيديو المحظور في إسرائيل [Israel Banned Documentary]

.. تجده على هذا الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=IZZvTAKgro>

ويبقى السؤال الذي يجب أن نطرحه الآن: هل وجدت إسرائيل البديل الأكثر فاعلية من القنابل النووية ، في بطلها الصهيوني الذي امتطى ظهر مصر بعد انقلابه العسكري..؟ والذي يقوم بتخريبها وإعدادها للخضوع التام لإسرائيل: أن تستولى عليها وتحقق حلمها في إمبراطورية اليهود التلمودية الموعودة..؟! . myades34@gmail.com

[نشر المقال في جريدة الشعب بتاريخ ٢٥ أغسطس ٢٠١٢م]